

أوروبا القديمة وأوروبا الجديدة وحديث السحاليناهض منير الرئيسالنائب عن مدينة غزة

لا تزال عجائب إدارة بوش تتوالى كل يوم ملء الأبصار والأسماع، وتجعل من شاشات التلفزيون، التي هي نعمة من نعم الحضارة، نقمة ونكدًا يملأ النفس بالغم. ورحم الله المتنبئ إذ قال من زمان : (واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الأجسام!). فجعل رؤية الجاني سببا لعذاب يساوي عذاب الأذى الواقع من يده على الإنسان. فكيف إذا كان الجاني من ماركة بوش ورامسفيلد ؟

فالأول، الذي هو رئيس الولايات المتحدة، لا ينقطع ولا يمتنع ولو يوما واحدا عن التهجم على العراق ورئيسه بطريقة من إذا خاصم فجر، وهي طريقة ذات طابع شخصي مقبت غريب على الرجال الكبار أصحاب المراكز العالية، لا سيما إذا كانوا رؤساء دول كالدولة التي يرأسها هذا التكتاسي !!

أما الثاني : رامسفيلد فالعباذ بالله من السحلية وأم بريص والحرباء وباقي فصيلة الزواحف اللزجة إذا أصبحت ذوات مناصب!... ورب إنسان تدخله سمات من الشبه الواضح في فصيلة من الضواري أو من البيغاوات أو من الحيتان أو من الزواحف. والرجل من فصيلة الأخيرة دون شك. ولا أدري كيف كان وقع كلامه على الألمان والفرنسيين في الأسبوع الماضي حينما قال إن ألمانيا وفرنسا اللتين تعارضان انفراد الولايات المتحدة بقرار ضرب العراق إنما تمثلان ((أوروبا القديمة))، في حين أن هناك دولا في أوروبا تؤيد سياسة أمريكا ضد العراق، وتلك هي ((أوروبا الحديثة)). وهكذا يحيل رامسفيلد على التقاعد أخص الحلفاء من دول العالم الأول ولا يكتفي بالتطاول على الأعداء من دول العالم الثالث. وهكذا تستبدل الولايات المتحدة حلفاء بآخرين. فالعنجهية الأمريكية صارت تعبر عن نفسها دون تحفظ بكامل الصلافة اللاتقة بالعنجهية. وفي الأسبوع الماضي أيضا تكلم سيناتور أمريكي بلغة العصر . عصر بوش وشركاه . مخاطبا دولتين من دول الدرجة الأولى هما روسيا وألمانيا قائلا : إذا كنتم تريدون حصة من نفط العراق فعليكم أن تلتحقوا بالحلف معنا وتحاربوا ضد العراق !

أهي صراحة حميدة ؟ أم وقاحة ذميمة ؟ لست تدري ! لأنك لست تدري أيهما أشنع : اللص الذي يصطنع الذرائع أم الذي يقول لك مباشرة " أنا لص وأريد مالك ". ويصعب عليك الترجيح لأنك إذا قلت إن ميزة صراحة اللص هو كونها تجتنب الالتواء وتوفر الوقت وتجعل الأمور واضحة منذ البداية، فإن المجاهرة بالاثم والعدوان واللصوصية تصدم عقيدتك التي استحسنت الاستتار والتستر على المعصية لغاية وجيهاة هي الحيلولة دون أن تصبح المعاصي في حال إقرار منطقتها أو السكوت عليه ثقافة مقبولة شائعة ثم تصير لها شرعية عرفية اجتماعية.

لكن اختلاف اللصوص يتيح فرصة الاستماع إلى جدالهم المتبادل الذي لا يخلو من منفعة. فهو يفضح باطنهم ويكشف للضحية بعض أسرارهم. وهكذا كان.

فالسيناتور الأمريكي كشف بوقاحة متناهية أن نفط العراق هو محور الحملة الأمريكية، وليس أسلحة الدمار الشامل ولا الغيرة على الديمقراطية في العراق. ونحن من جانبنا لا نجهل ذلك. ولكن الاعتراف به من قبل أصحاب الشأن هو المهم.

وواقع الحال أن النفط هو مدار السياسة لدى الفرنسيين والألمان بدورهم. وهذا ما جابههم به السيناتور الوقح. وهم لكونهم دولا صناعية من الطراز الأول، وكون حاجتهم للطاقة حاجة أساسية، لا يستطيعون أن يكونوا سعداء ولا مطمئنين حينما تكمل الولايات المتحدة احتكارها لنفط المنطقة، فتقف الدول الصناعية كلها على الأبواب في الصقيع تشخذ حاجتها من النفط. لقد كانت لهم في العراق آمال تتلخص في أن يحصلوا على نصيبهم من المنابع مباشرة دون وسيط، بل وأن يكونوا هم وسطاء

يبعون للآخرين ويحققون الربح. ولكن الولايات المتحدة أرسلت حاملات طائراتها وجيوشها وأساطيلها إلى الخليج مباشرة، وهكذا استندت إلى قواها العسكرية لتقول للجميع : ها أنا ذا ! ومن شاء أن يقتسم معي فليأت ! على أن الكلمة النهائية هي لمن يملك قوة أكبر !

إن ذلك يؤدي إلى ترتيب جديد للقوى ولموازن القوى، تزداد به أمريكا عملاقة ويزداد غيرها تقزيمًا. وإذا كان مطلب أمريكا الدائم من منظمة أوبك هو الحيولة دون ارتفاع أسعار النفط وإجبار الدول المنتجة على رفع سقف إنتاجها فلا شيء يضمن أن يظل السعر المنخفض مطلب أمريكا عندما تحتكر النفط بنسبة ١٠٠ %.

هكذا تستهزل الولايات المتحدة القرن الحادي والعشرين بإعلان مدو فحواه : المجد لشريعة الغاب ! الضعفاء لا يستحقون خيرات بلادهم ! أمريكا فوق الجميع ! وأمريكا تملك الجميع وخيرات الجميع ! ومن لم يعجبه ذلك فليأت ليتفرج على أنيابي وأظفاري الفولاذية !

هذا هو قرن الكارثة. هذا هو قرن الظلام. لقد أعادت إدارة بوش العالم إلى عصور سحيقة. ومع أنها تتحدث بأعلى صوت عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، فإنها تمارس العمل التأمري الخفي وتنتشر ثقافة العنف والعدوان، وتدعي لنفسها حقا في الوصاية على العالم بأسره.

في ظل أمريكا تدهام إسرائيل بدورها ما تبقى من وطن الفلسطينيين. ويستأنف آريئيل شارون مذابحه مستشعرا الحماية التامة والتغطية السياسية التامة. لا أحد يقول له كفى توقف. لا أحد يحاسب في ليل القتل. لا موازين للعدل في الغابة، ولا في العالم الذي أحالته أمريكا غابة.

ونعود نحن العرب بذاكرتنا إلى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من القرن الماضي، حين خيل إلينا أن انحسار موجة الاستعمار البريطاني والفرنسي في منطقتنا تؤذن بانتهاء عصور الظلم والاستعمار، وأن الوحدة العربية الشاملة باتت على بعد خطوات منا، وأن عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى بلادهم لا تنتظر إلا إشارة البدء !!

هل سنقبل هذا التراجع والسقوط ؟ ومتى نجد طريقنا ؟

لقطات الأسبوع

? أعلن السناتور الأمريكي اليهودي جوزيف ليبيرمان قبل أسبوعين أنه ينوي ترشيح نفسه للرئاسة الأمريكية. وسبق له أن ترشح في الانتخابات الرئاسية الماضية نائبا للرئيس. ويبدو لنا أنه إذا نجح وحكم أمريكا فلن يكون ذلك إلا استكمالاً للمظاهر !

? البعض يستخدمون سلطاتهم في التعيينات بالوظائف العامة كأن البلد ملك شخصي. مع فارق واحد : هو أنهم في الحالة الأخيرة كانوا سيكونون أكثر تدقيقاً في ذمة من يستخدمون.

? إذا كان الرئيس الأمريكي سيعود في نهاية المطاف ويقول إن على العراقيين أن يظهروا أسلحتهم المخبوءة، فلماذا من الأصل عين المفتشون الدوليون !؟

? أقول للذين فرحوا لانعقاد مؤتمر لندن : ألا يكفي هوانا أنه معقود لبحث الإصلاحات في السلطة الوطنية؟!!

? ما هذه الرموز التي تدق لها الطبول وتعزف لها موسيقى التشريفات ؟ هل تتم الخديعة الكبرى، خديعة الالتفاف على الأمانى بواسطة تلميع الأسماء والتلويع بكيانات كاذبة مسلوقة الصلاحيات؟! معاذ الله أن تكون هذه نهاية مطاف دماء الشهداء !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

